

المحاضرة الثامنة ... بعنوان التفسير بالرأي ... للمدرس المساعد:

سرى أحمد السامرائي

بعد انقضاء عصر الرسالة ابتداءً بجانب التفسير بالمأثور ظهور نوع آخر من التفسير يقيم للرأي الصحيح وزناً، وللعقل الصائب اعتباراً وهو التفسير بالرأي والمسمى بالتفسير العقلي، ولكن على نطاق ضيق جداً ، لأن التفسير بالرأي في الصدر الأول كان موضع تخرج حتى في تفسير الالفاظ .

وقد تجلى هذا النوع من التفسير واضحاً في تفسير ابن عباس حينما كان يعتمد على الشعر العربي في التفسير اللغوي بأطلاقه العام وقد أثر عنه أنه قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب .

وقال أيضاً: إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربي ، فقد أورد السيوطي في الاتقان معظم الاجوبة التي سأل عنها نافع بن الازرق عبد الله ابن عباس مشفوعة بما يصدقها من شعر العرب منها ما يلي: قال: اخبرني عن قوله تعالى : ﴿ شَرَعَةً وَمِنهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨ قال : الشرعة الدين والمنهاج الطريق.

كذلك صدر عن أبي عباس ؓ وتلاميذه ما يسمى بالتفسير البياني بروحه وممرماه قبل تحديد تعريفه، وبيان مصطلحاته التي تأخر تأصيلها العلمي الى ما بعد عهده بزمان طويل ومن ذلك على سبيل المثال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كَبَسِطَ كَفْتِيهِ إِلَى الْآمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِيغٍ ﴾ الرعد: ١٤ .

- وكذلك اتجه ابن عباس ؓ إلى عادات العرب قبل الإسلام لأن منها ما يستعين به على التفسير .

- لما تقدم الزمن وحل القرن الثالث اتسع التفسير بالرأي ، فكان على شكل محاولات شخصية أولاً قام بها الطبري شيخ المفسرين في ترجيح بعض المنقولات على بعض بالرجوع إلى اللغة تارة وإلى ما عرف من عادات العرب تارة اخرى، واهتمامه بالأحكام النحوية ، والاستنباطات الفقهية واعتماده في ذلك على البحث الحر، والتأمل الدقيق في احتكامه إلى المعروف

المحاضرة الثامنة ... بعنوان التفسير بالرأي ... للمدرس المساعد:

سرى أحمد السامرائي

من كلام العرب والرجوع إلى شعرهم بشكل واسع متأسيا في هذا المسلك بعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وليس هذا في الحقيقة إلا مظهراً من مظاهر التفسير العقلي ثم تتابع المفسرون في السير بهذا النوع من التفسير بين ثنايا المنقول حتى كثر التفسير العقلي وصار النقل فيه قليلاً، ونرى هذا واضحاً في مدرسة المعتزلة التي يرأسها الزمخشري صاحب الكشاف، وغيره ممن جرى على منواله، وقد توسعوا كثيراً وكان لهم الفضل في إحياء الكثير من المفردات اللغوية والشواهد الشعرية، والقواعد النحوية والوجوه البلاغية في إعجاز القرآن الكريم، وإلى هذين النوعين من التفسير يشير ابن خلدون في مقدمته فيقول: ((صار التفسير على قسمين تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، والصنف الأخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والاساليب، وهذا الصنف من التفسير قل ان ينفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد ان صار اللسان وعلومه صناعة ، نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً ، ومن أحسن ما أشتمل عليه هذا اللون من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري.

- وقد استمر هذا النوع من التفسير بالرأي وظل هو الغالب حتى عصرنا هذا بفضل ما بذله المفسرون من جهد وإخلاص في خدمة القرآن الكريم.

***ان الذي دفع المفسرين إلى التوسع في هذا النوع من التفسير أربعة دوافع**

هي:

أولاً: ان التفسير بالمأثور لم يغط كل الآيات القرآنية إذ كان يهمل بعضها لعدم ورود النقل الصحيح فيها فكان الناس بحاجة إلى من يفسرها.

ثانياً: لما ضعفت السليقة العربية في العصور التي تلت القرن الثالث بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الأمم التي دخلت الاسلام أدى إلى ضعف الاساليب العربية وغموض بعض تعابيرها والقرآن كما نعلم في أعلى درجات البلاغة ،

المحاضرة الثامنة ... بعنوان التفسير بالرأي ... للمدرس المساعد:

سرى أحمد السامرائي

يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة فكان الناس بحاجة إلى بسط ما أوجز والكشف عما أجمل.

ثالثاً: ان الخلاف المذهبي بين الفرق الإسلامية التي ظهرت دفعهم إلى تلوين التفسير باللون المذهبي فكانت كل فرقة تفسر بعض آيات القرآن بما يتفق مع عقائدها وينسجم مع أهدافها مبطله بذلك الفرق الأخرى.

رابعاً: ان تطور العلوم وتقدمها في عصرنا الحاضر يقتضي ان تفسر بعض الآيات العلمية والكونية والنفسية بحسب مستوى تطورنا العلمي، فنحن نعيش في عصر برزت فيه مشكلات متجددة ومسائل اجتماعية مستحدثة لا تزال تتحدانا للنظر في حلها ولم ينقل إلينا فيها عن السلف تفسير ، لأنها لم تظهر في عصرهم ، فالإقتصار على التفسير بالمأثور فاسد ، ويبين لنا القرطبي هذا المعنى فيقول: أما قول بعض العلماء ان التفسير موقوف على السماع لقوله تعالى ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ النساء: ٥٩ ، فاسد ، لأن النهي عن التفسير لا يخلو أما أن يكون المراد به الإقتصار على النقل المسموع وترك الاستنباط أو المراد به أمر آخر، وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه لذلك فإن الصحابة رضي الله عنهم قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم .